

مقدمة

أيها القارئ !

هذه مقالات مختلفة فى مواضيع شتى كتبت فى أوقات متفاوتة وفى أحوال وظروف لا علم لك بها ولا خبر على الأرجح . وقد جمعت الآن وطبعت وهى تابع المجموعة منها بعشرة قروش لأكثر ! ولست أدعى لنفسى فيها شيئاً من العمق أو الابتكار أو السداد ، ولا أنا أزعمها ستحدث انقلاباً فكرياً فى مصر أو فيما هو دونها ، ولكنى أقسم أنك تشتري عصارة عقلى وإن كان فجأ ، وثمرة اطلاعى وهو واسع ، ومجهود أعصابى وهى سقيمة ، بأبخس الأثمان ! . وتعال نتحاسب ! إن فى الكتاب أكثر من أربعين مقالاً تختلف طولاً وقصراً وعمقاً وضحولة . وأنت تشتري كل أربع منها بقروش ! وما أحسبك ستزعم أنك تبذل فى تحصيل القرش مثل ما أبذل فى كتابة المقالات الأربع من جسمى ونفسى ومن يومى وأمسى ومن عقلى وحسى ، أو مثل ما يبذل الناشر فى طبعها وإذاعتها من ماله ووقته وصبره . ثم إنك تشتري بهذه القروش العشرة كتاباً ، هبه لا يعمر من رأسك خراباً ولا يصقل لك نفساً أو يفتح عيناً أو ينبه مشاعر فهو - على القليل - يصلح أن تقطع به أوقات الفراغ وتقتل به ساعات الملل والوحشة . أو هو - على الأقل - زينة على مكتبك . والزينة أقدم فى تاريخنا معاشر الآدميين النفعيين من المنفعة وأعرق ، والمرء أطلب لها فى مسكنه وملبسه وطعامه وشرابه ، وأكلف بها مما يظن أو يجب أن يعترف . على إنك قد لا تهضم أكلة مثلاً فيضيق صدرك ويسوء خلقك وتشعر بالحاجة إلى التسمية والنفث وتلقى أمامك هذا الكتاب فالعن صاحبه

وناشره ما شئت ! فإني أعرف كيف أحول لعناتك إلى من هو أحق بها !
ثم أنت بعد ذلك تستطيع أن تبعه وتنكب به غيرك ! أو تفككه وتلفف
فى ورقه المنشور ما يلف ، أو توقد به نارًا على طعام أو شراب أو غير ذلك !
أفقليل كل هذا بعشرة قروش ؟

أما أنا فمن يرد إلى ما أنفقت فيه ؟ من يعيد لى ما سلخت فى كتابه
من ساعات العمر الذى لا يرجع منه فائت ، ولا يتجدد كالشجر ويعود
أخضر بعد إذ كان أصفر ، ولا يُرقع كالثياب أو يُرفى ؟

وفى الكتاب عيب هو الوضوح فاعرفه ! وستقرؤه بلا نصب ، وتفهمه
بلا عناء ثم يخيّل إليك من أجل ذلك أنك كنت تعرف هذا من قبل وأنك
لم ترد به علمًا ! فرجائى إليك أن توقن من الآن أن الأمر ليس كذلك
وأن الحال على نقىض ذلك !

واعلم أنه لا يعينى رأيك فيه . نعم يسرنى أن تمدحه كما يسر الوالد
أن تشنى على بنيه ، ولكنه لا يسوءنى أن تبسط لسانك فيه إذ كنت أعرف
بعبويه ومآخذة منك . وما أخلقنى بأن أضحك من العائين وأن أخرج لهم
لسانى إذ أراهم لا يهتدون إلى ما ييغون وإن كان تحت أنوفهم !

ومهما يكن من الأمر ، وسواء أَرْضِيت أم سَخِطت ، وشكرت أم
جحدت ، فاذكر ، هداك الله ، أنك آخر من يحق له أن يزعم أن قروشه
ضاعت عليه ! - أولى بالشكوى منك الناشر ثم الكاتب .

القاهرة فى ٢٨ سبتمبر ١٩٢٤

إبراهيم عبد القادر المازنى